

تتجاوز مع أحدهم بألم حول ما يجري في المجتمع أحياناً أو مانلاحظه من كوارث، أو حوادث أو تصرفات، أو سلوكيات مستحدثة تفتح منافذ للخلل الاجتماعي، وأنه لا بد من دراستها، وبحثها بجدية من قبل متخصصين بعد أن أصبحت واضحة، ومكشوفة تجده محاوراً متمناً مغلقاً، لا يقبل الجدل أو الحوار، أو حتى فتح ابواب النقاش حول ما تطرحه أنت وآخرون على اعتبار أن هذه القضية أو تلك مجرد حوادث فردية أو ظاهرة محدودة الملامح نشأت لظروف خاصة سرعان ما سوف تنتهي.

منذ سنوات كان من يتجرأ امام بعض المكابرين على مناقشة ارتفاع مستوى الفقر، وزيادة الفقراء في مختلف مدن وقرى المملكة يواجه بعاصفة من الاعتراض على اعتبار أننا دولة غنية ولا يوجد فقراء لدينا، والفقر بيننا وبينه مسافة ونحن محميون منه، والوظائف متوفرة والجار قريب من جاره، إلى أن بدأت الصحف تنشر حكايات وحالات فقراء وطلبات مساعدة وبدأ المتسولون السعوديون في الظهور رجالاً ونساءً وازداد عدد العاطلين والعاطلات عن العمل مع ازدياد مطرد في السكان، وتحولات داخلية اجتماعية مثيرة دفعت بالفقراء الى اسفل بقوة وزادت من فقرهم، ودفعت بطبقات اخرى إلى الاعلى لتزداد غنى، وجاءت زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز العام الماضي إلى منازل الفقراء في الرياض لتضع الحالة على السطح اعلامياً ورسمياً وليصبح معترفاً بها بعد اعتراف الدولة وتسجل كظاهرة أو كارثة موجودة ومعلنة وينشأ صندوق مكافحة الفقر، اعترف من رفض الاعتراف بالفقر كظاهرة، وبدأ المطالبون بعودة الاعانات السعودية الى الداخل برفع اصواتهم بأن اهل الدار اولى بالمساعدة ومن ثم الاقربون فالأقربون.

وجاءت بعد ذلك كارثة الارهاب الذي انتشر قبلها في بعض الدول وأصر البعض على انه حالات فردية وسببه سياسي وضد العدو، والسؤال اين هو العدو الآن والارهاب ينال منا في الداخل؟ اين هو العدو الآن والأسلحة تنتشر والدولة تركض في كل الاتجاهات لجمعها، وحماية المجتمع من الدمار. وتخسر جنودها وهم يحمون مواطنيهم.

كان البعض يصر على ان الارهاب لن يصل إلينا وإن تدين ابنائنا خاص لا يمكن ان يعتدي على الآخرين والآن وبعد ان وصلنا، وتوحدت الكوارث في العالم بإصابتها للمدنيين والاطفال هل اصبح الارهاب ظاهرة ام حالات فردية فقط؟ علماً بأن الدولة لاتزال تلاحق عشرات الإرهابيين، وتقبض على بعضهم في مناطق متعددة من المملكة امتدت من الرياض وجدة، ومكة، والمدينة، والجوف وجازان، والقصيم وغيرها من مناطق المملكة بمعنى أن الحدث ليس فردياً، بل اصبح ظاهرة منتشرة تجاهد الدولة من اجل القضاء عليها واجتثاثها، ولكن لا يكفي ذلك بل لابد من دراسات مكثفة لمعرفة اسباب هذا المد الرهيب الذي جرف معه كل شيء، دراسات مجتمعية وسياسية تفند اسباب الطوفان حتى وان كانت بعض الاسباب معروفة ومطروحة اعلامياً، ولكن تبدو بعض ملامحها غير واضحة في ظل ان اغلب هؤلاء الشباب إما أنهم تركوا دراستهم، أو يعانون من البطالة، أو دون العشرين، مع وجود أسرهم وهي اسر كريمة وفاضلة لادخل لها اطلاقاً بسلوكيات فرد من افرادها.

يضاف إلى ذلك انتمأؤهم الى فكر واحد وايمانهم به، وتجمعهم من مناطق متعددة وقرى بعيدة ونائية وليس من مدن كبيرة سوى مجموعة صغيرة منهم وتباعد افكار الأبناء عن الآباء، وافتقار الاحتواء والحنان العاطفي.

المشكلة أن دراسة الظواهر تعتبر الأهم بعد نشوئها للبحث عن مسبباتها والتي لا بد ان يعرفها الناس.

كوارثنا خرجت من دائرة الفردية إلى دائرة الظواهر ولا يعيب او ينقص من قيمتنا الاعتراف بها، ومواجهتها، والإيمان بأن التجارب الانسانية المهمشة قد تشكل ظواهر جديدة مهما كان التفكير في محدودية ذلك.

والاعتراف ايضاً بأن كثيراً من مصائبنا تجاوزت الفردية ولا بد من التعامل معها بشفافية مطلقة بعيداً عن تغطيتها، واعتبارها نموذجاً فردياً لا يخرج عن نطاق ذلك بالرغم من وجود ظواهر متعددة اقل تأثيراً مما سبق طرحه سوف أتناول بعد غد إن شاء الله.